اشتري المصري
الاستقلال الاقتصادي وتأسيس دولة المدينة الإسلامية

تمهيد:
شكلت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة منعطفاً حاسماً في مسار التاريخ الإسلامي، وذلك نظرا لما أسست له من تحولات عميقة وجذرية سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.. فقد بات من المتفق عليه بين المؤرخين أن حدث الهجرة كان إعلاناً لبزوغ مرحلة الدولة الإسلامية، بعد مرحلة الدعوة في مكة المكرمة، وقد وضع الرسول خلال هذه المرحلة الجديدة المعالم الأساسية للمجتمع الإسلامي في كل أبعادها، الفردية والجماعية، العامة والخاصة.. بل إن تقسيم آيات القرآن الكريم إلى مكية ومدنية حسب مراحل نزولها، دليل على أهمية وخصوصية كل مرحلة، وبالتالي فإن الهجرة كحدث فاصل بين هاتين المرحلتين جدير بالاهتمام والدراسة، وهو حدث ذو أبعاد كثيرة يهمنا هاهنا أن نتطرق لواحد منها هو الجانب العمراني. فكيف أسس الرسول، بعد الهجرة مدينة بأكملها، أو بالأحرى كيف أعاد تهيئة مدينة صغيرة ليجعل منها في ظرف وجيز نسبيا حاضرة مهمة نافست ولا تزال أهم حواضر عصرها؟ ما هي الأسس المادية والتنظيمية التي اعتمدها الرسول الأكرم في بناء النواة الأولى للمجتمع الإسلامي؟ وما هي خصائص المجتمع العمراني وكيف ساهمت العقدية الجديدة في بلورتها؟

= لماذا الهجرة إلى يثرب؟

إن اختيار الرسول ليثرب هو بتأييد وتوفيق من الله تعالى روعيت فيه اعتبارات دقيقة، كيف لا والهجرة لم تكن فقط موقفا تعبديا ينتظر منه الحماية للمسلمين فحسب، بل كان حكما ربانيا بإنشاء دولة الإسلام، فالرسول وهو يتطلع إلى مستقبل الإسلام والمسلمين خلال المراحل المقبلة، لم يقع اختياره على يثرب بالصدفة، هو الذي كانت له تجارب مع مواقف أخرى داخل وخارج الجزيرة العربية: بني حنيفة، الطائف، الحبشة.. لا شك أنه وفق لهذا الاختيار بتأييد من ربه لاعتبارات يمكن أن نجمل أهمها فيما يلي.

أولاً: الموقع الجغرافي للمدينة:

إن الموقع الجغرافي لأية مدينة يعتبر من أهم العوامل التي تحدد مدى تطورها وازدهارها، بل إن نشأة وتطور كثير من المدن والحواضر يرجع في المقام الأول إلى الخصائص الجغرافية التي تميز

موقعها، ويثرب تمتاز بموقعها الجغرافي على طريق تجارة الشام عصب الاقتصاد القرشي ومتاخمتها لمنطقة حضارية عريقة في الشمال حيث التيارات المسيحية والثقافات الإغراقية تتجاذبها وتدفع بتأثيرها إلى الحجاز.

ثانياً: توافر بنية اقتصادية معتبرة من خلال تنوعها ومستوى تطورها:

١- **البيئة الزراعية:** فهناك الزراعة التي تعتبر يثرب إحدى أهم واحاتها في الجزيرة العربية إلى جانب الطائف وعسير وحضرموت… فهذه المناطق كانت تمتاز بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة وتنوع أغراسها وقد كان التطورالزراعي في يثرب حصيلة الخبرة الزراعية التي أتى بها اليهود من بلاد الشام من جهة والعرب التي هاجرت من بلاد اليمن.

٢- **النشاط الصناعي والحرفي:** فقد قامت في يثرب مجموعة من الصناعات خاصة تلك تعتمد على الإنتاج الزراعي المحلي. كما عرفت بعض الصناعات التعدينية كصناعة الأسلحة والآلات المستخدمة في الري والزراعة،

٣- **النشاط التجاري:** كان للنشاط التجاري حضوره أيضا بحكم موقع يثرب كنقطة على طريق الشام فضلا على أن فائض الإنتاج الزراعي والصناعي يقتضي تطوير أساليب التجارة لصرفه نحو الخارج.

ثالثا: من الناحية السياسية والاجتماعية:

كانت يثرب تعيش في ظل تنوع ديموغرافي يطبعه اختلال في موازين القوى لصالح اليهود على حساب العرب، كل ذلك في ظل غياب سلطة سياسية مركزية موحدة.

الإجراءات التي اتخذها الرسول لتأمين نواة الدولة الإسلامية الأولى الممثلة في المدينة المنورة؟ أو بتعبير آخر: عناصر المدينة الإسلامية كما وضعها الرسول؟
يمكن تصنيف هذه العناصر إلى نوعين، عناصر مادية وعناصر تنظيمية

القسم الأول: العناصر المادية:

وتتمثل في مجموعة من الإنجازات ذات الطابع العمراني التي قام بها الرسول داخل المدينة، التي نجم عنها تغير جذري في هيكلتها العمرانية، وذلك بالموازاة مع التغيرات العميقة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتنظيمي، في هذا الإطار يمكن أن نذكر المنشآت التالية:

أولاً: بناء المسجد:

كان بناء المسجد هو أول عمل باشره الرسول بعد دخوله يثرب، وقد اختار له الموضع الذي بركت فيه ناقته وكان مربدا (أي مكان مخصص لتجفيف التمر) لغلامين يتيمين من الأنصار في كفالة سعد بن زراة· سام الرسول في هذه الأرض فعرض عليه الغلامان أن يهباه له· لكنه عليه الصلاة والسلام أبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وكان في المكان شجر غرقد ونخل وقبور قديمة فأمر الرسول بالشجر فقطع وبالقبور فنبشت· وتم بناء المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانب مثل ذلك أو دونه، ثم بني باللبن وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وجعلت قبلته في اتجاه الشمال، نحو بيت المقدس، قبل أن يأتي الأمر الإلهي بتغيير القبلة نحو مكة المكرمة سنة ٢هـ فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام (البقرة:١٤٣) إن الأهمية الروحية للمسجد ومركزية دوره في الحياة العامة للمسلمين باعتباره مجالا وفضاء ليس فقط للعبادة ولكن ليتلقى فيه المسلمون تعاليم الإسلام وتوجهاته، ومنتدى تلتقي فيه وتتآلف العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزاعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبرلمانا لعقد المجالس الاستشارية التنفيذية ومع ذلك كله (مأوى) لعدد كبير من المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم دار ولا مال ولا أهل هذه الأهمية التي للمسجد يترجمها الجانب العمراني.

لا يخفى أن المسجد الجامع الذي أسسه الرسول كان يحتل مركز المدينة ويشكل نواتها، فمنه وإليه تمتد الشوارع والطرق الرئيسية في اتجاه ضواحي وأطراف المدينة، فقد أشارت الروايات التاريخية إلى طريق يمتد من المسجد ويتجه غربا حتى يصل إلى جبل سلع وطريق من المسجد يخترق منازل بني عدي بن النجار ويصل إلى قباء جنوبا ومن قبا وجد طريق يتجه شمالا إلى البقيع.

وعن هذه الشوارع تتفرع طرقات ثانوية لتسهيل التواصل بين مختلف أطراف المدينة وللإشارة فإن التوسع العمراني والامتداد المجالي للمدينة أديا إلى إقامة مساجد على مستوى الأحياء، وهي مساجد للصلوات الخمس فقط، فيما صلاة الجمعة كانت تقام في مسجد الرسول باعتباره المسجد الجامع، وقد كان الرسول هو من يشرف على إنشاء هذه المساجد كما يتبين ذلك من حديث جابر بن أسامة حيث قال: لقيت رسول الله بالسوق في أصحابه فسألتهم أين يريد، فقالوا: اتخذ لقومك مسجدا، فرجعت فإذا قومي فقالوا خط لنا مسجدا وغرز في القبلة خشبة.

ثانيا: تخطيط الأحياء السكنية حول المسجد الجامع:

أعطى الرسول انطلاقة إنشاء مجموعة من الأحياء، وذلك من خلال عملية تقسيم الأراضي الشاغرة التي وهبها له الأنصار ووضعوها تحت تصرفه عليه الصلاة والسلام لتوزيعها على المهاجرين قصد استوطانها.

فقد ذكر ابن سلام أن الرسول حين هاجر إلى المدينة جعل له أهلها كل أرض لا يبلغها الماء يصنع بها ما يشاء وقد قام الرسول بتوزيع هذه الأراضي وفق نظام الخطط، حيث أقطع لكل قبيلة خطة خاصة بها تاركا لها حرية التصرف في تقسيمها بين أفرادها وفقا لظروفها وإمكاناتها وحاجاتها. وهكذا خط مثلا لبني زهرة من ناحية مؤخرة المسجد، ولعبدالرحمن بن عوف الحصن المعروف باسمه، وأقطع الزبير بن العوام بقيعا واسعا، وقد أدت عمليات الاختطاط هذه التي تعني في المدن الإسلامية الأولى حيازة موقع ما في منطقة معلومة بإذن من السلطات قصد إعماره، أدت هذه العمليات إلى تجميع النسيج العمراني للمدينة بعد تعمير المجالات الفارغة التي كانت تفصل بين مختلف أحيائها.

من خلال طريقة توزيع الأراضي أو ما يمكن أن نسميه بالسياسية العقارية التي انتهجها الرسول، يتبين على أنه عليه الصلاة والسلام أراد التوفيق بين اعتبارين أساسيين، متناقضين في الظاهر، لكن في واقع الأمر هما متكاملان تماما، ويؤديان وظيفة واحدة ضرورية وحيوية جدا لأية مدينة، ويتعلق الأمر بمسألة الاندماج الاجتماعي (Lintégration sociale) والاعتبارين اللذين سعا من خلالهما الرسول، لتحقيق هذه الغاية، على الطريقة الإسلامية طبعا،، هما: من جهة تذويب الفوارق القبلية، والهويات القائمة على اعتبارات الدم والنسب والعشيرة، لصالح هوية جديدة تعلو فوق كل الهويات، هي هوية العقيدة بالنسبة للمسلمين فيما بينهم، وهوية المواطنة بالنسبة لسكان المدينة في عمومهم مسلمين، يهود كفار... ومن جهة ثانية احترم الرسول الحساسيات القبلية والروابط العائلية التي كانت مستحكمة في البنية الاجتماعية العربية، وذلك في الحدود التي لا تتناقض فيه مع الهوية الجديدة للأمة، وهكذا تحققت وحدة المدينة على المستوى المجالي واندماجها على المستوى الاجتماعي بعد أن كانت وحدات متفرقة وأحياناً متناحرة دون كيان ولا هوية.

ثالثاً: إنشاء المرافق الاجتماعية والاقتصادية:

تتمثل أهم هذه المرافق فيما يلي:

١-**إنشاء السوق:** في إطار اهتمامه بالجانب الاقتصادي والمعاشي للمسلمين، أنشأ لهم سوقاً خاصة بهم تحكمها شروط وأخلاقيات جديدة (الصدق، تحريم الربا والاحتكار والغش في المكاييل) خلافا للأسواق التي كان يسيطر عليها اليهود ويفرضون فيها شروطهم (الخراج على المتاجرة، التعامل

بالربا، الاحتكار) وقد اختار الرسول مكانا قريبا من سوق بني قينقاع أقام فيه قبة كبيرة رمزا وعلامة يتجمع فيها المسلمون للاتجار فيها. وقد اغتاظ اليهود من هذا التوجه الذي يروم الاستقلال الاقتصادي فقاموا بزعامة كبيرهم كعب ابن الأشرف بهدم القبة التي بناها الرسول الأكرم وقطعوا أطنابها. بيد أن الرسول لم يلتفت الى هذا السلوك الاستفزازي، وهذه المحاولة اليائسه من قبل عناصر اليهود المتعصبة، بل رد عليها عمليا فقال متحدثا عن كعب بن الأشرف وفعلته. والله لا ضربن له سوقا هو أغيظ من هذا واختار مكانا فسيحا بأطراف المدينة بعيدا عن المحال السكنية وذلك باقتراح من أحد الصحابة الذي قال للنبي إني نظرت موضعا للسوق، أفلا تنظرون إليه؟ قال بلى فقام معه فلما رأه أعجبه وركض برجله عليه السلام وقال نعم سوقكم هذا، فلا ينقصن ولا يضربن عليكم بخراج، وقد ظلت هذه السوق طيلة عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين عبارة عن فضاء حر من دون بناء، يخضع في تدبيره لنظام سنة المساجد كما كان يقول الخليفة عمر: [الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعده فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه]، ولم يبدأ البناء في الأسواق إلا على عهد معاوية بن أبي سفيان الذي سن تأجير أماكن السوق.

٢-**تخطيط الشوارع والطرقات:** أولى الرسول اهتماما كبيرا للطرقات باعتبارها مجالا لحركة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية كما سبقت الإشارة، عمد الرسول إلى ربط كل أحياء المدينة بالمسجد الجامع من خلال شوارع رئيسة تفرعت عنها طرق فرعية تمتد إلى مختلف التجمعات السكنية لتسهيل حركة المرور داخل المدن، وقد كان عرض الطرق الرئيسة يقدر بين أربعة وخمسة أمتار. بينما عرض الطرق الفرعية كان يقدر بين مترين وثلاث أمتار. واعتبر الرسول الطريق واجبا وحقا لكل مواطن فمن حيث هي واجب، فلضرورة المساهمة فيها عند الاقتضاء باعتبارها نوعا من الارتقاء كما يستخلص ذلك من حديث في الصحيحين رواه أبو هريرة أن الرسول قال : إذا اختلفتم في الطريق فاجعلوه سبعة أذرع، وأما من حيث هو حق فلأن استعماله مشاع بين الجميع، وقد جعل الرسول للطرق آداباً عامة، فقد أخرج أبو داود عن سهيل بن معاذ بن أنس الجهنمي عن أبيه قال: غزوت مع الرسول غزوة كذا وكذا، فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله مناديا ينادي في الناس، من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له كما دعا الرسول إلى إماطة الأذى عن الطريق، وبارك كل مساهمة في إصلاحها والاعتناء بها، جاء في سنن أبي داود عن ابن عمر أنه قال: مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة فجعل الرجل يأتي بالحصى في ثوبه فيبسط تحته فلما قضى رسول الله صلاته قال: ما أحسن هذا كما أخرج مسلم من حديث أبي برزة قال: قلت يا نبي الله علمني شيئا أنفع به، فقال، اعزل الأذى عن طريق المسلمين .

٣-إنشاء المرافق العامة: استكمالا للعناصر الأساسية بالمدينة، أنشاء الرسول مجموعة من المرافق ذات وظائف حيوية، منها ما يستجيب للحاجات الأمنية والدفاعية مثل إقامة معسكرات بضواحي المدينة لتدريب الجدد كمعسكر الجرف أو معسكر أسامة، ومنها ما يتسجيب للحاجات الاجتماعية كمقدار العلاج والتطبيب، حيث أقام الرسول بعد رجوعه من غزوة الخندق خيمة بالمسجد لأجل التداوي، وقد كانت هذه المبادرة نواة ما سيعرف بالبيمارستانات، كما أقيمت دور الضيافة لاستقبال الوفود كان أهمها دار عبدالرحمن بن عوف. واتخذت مواضع لقضاء الحاجات تسمى المناصع واختيرت مواضع للذبح بعيدا عن السكان، وعين مكاناً لصلاة العيد المصلى

هذه هي أهم المنجزات العمرانية التي تحققت في المدينة المنورة بعد مقدم الرسول الأكرم إليها، بيد أن المدينة، أي مدينة، لاتستكمل شروطها وعناصرها من خلال جوانبها المادية فقط، التي رغم أهميتها، تبقى مجرد هياكل جامدة ما لم تلتحم بها الجوانب الإنسانية في أبعادها الثقافية والنفسية، وهذه الأبعاد هي التي اهتم بها رسول الله في تنظيمه للحياة العامة في المدينة وذلك من خلال العناصر التنظيمية.

القسم الثاني: العناصر التنظيمية

بالموازاة مع الإنشاء المادي لعناصر المدينة، اشتغل الرسول بالجانب التنظيمي باعتباره الإسمنت الذي يربط بين تلك العناصر، بل الأساس الذي عليه ترتكز وبه تشتغل. ويتمثل هذا الجانب التنظيمي في الإجراءات التي اتخذها عليه السلام عند قدومه إلى المدينة في إطار النهوض بها لتصبح النواة الصلبة للدولة الإسلامية وقاعدة انطلاقها. ومن بين أهم هذه الإجراءات.

أولاً: تغيير اسم المدينة:

لعل من اللافت للانتباه أن من بين ما قام به الرسول في المدينة تغيير اسمها من يثرب إلى المدينة المنورة فقد جاء في كتب السيرة أن النبي أمر بإهمال اسم يثرب وحث على استعمال اسم المدينة المنورة بدلا منه، كما نسبوا إليه في هذا الصدد قوله: يقولون يثرب وهي المدينة وكان عليه الصلاة والسلام لا يذكر كلمة يثرب أبدا، ويذكر أيضاً أن محمد بن الحسن بن ذبالة المعروف بالمديني نسبة إلى المدينة المنورة، روى أن النبي قد نهى عن استعمال اسم يثرب، وتذهب بعض المصادر إلى أن

مجرد استعمال كلمة يثرب يعد خطيئة حيث روى الإمام أحمد حديثا جاء فيه: مـن سـمى المدينـة يثرب فليستغفر الله ثلاث.

لايتعلق الأمر هنا بمجرد إجراء شكلي أو مزاجي حاشاه بل إنها خطوة أساسـية فـي الاسـتراتيجية التغييرية للرسول تترجم عمق التحول الذي ينشده.

فاسم المدينة هو عنوانها الذي يختزل خصائصها التاريخية والثقافية والاجتماعية والنفسية وبالتالي فإن تغيير هذا العنوان هو محاولة لتغيير هويتها كما تتمثلها الذاكرة الجماعية لساكنيها. من هنا فإن إعطاء اسم جديد للمدينة هو إيذان بميلاد مرحلة جديدة بخصوصيات جديدة، ومنذ البداية عمل الرسول علـى أن يتكرس هذا التوجه الجديد في الأذهان على اعتبار أن أي وحدة مجالية (الحي، المدينة أو القبيلـة، الوطن..) لكي يكون لها كيان ووجود حقيقي لابد من أن يـشعر مواطنوهـا بقـوة الانتمـاء إليهـا، وبالاندماج الكامل فيها، بغير هذا الشعور بالانتماء وبغير هذا الاندماج، لن يتأتى للمواطن أن يكـون فاعلاً ومعطاء داخل مجاله، وأزمة المدن المعاصرة اليوم تتمثل في أن فئات عريضة مـن سـاكنيها تعيش وضعية التهميش وبالتالي تجد نفسها في حالة غربة قاتلة، إذ لا تكاد تجمعهـا بمحيطهـا أيـة رابطة حميمية غير رابطة العلاقات المادية الجافة.

وتكرسا لهذا الاتجاه الذي يصب نحو مزيد من الالتحام والتآلف بين الإنسان والمجال، وبين الإنـسان والإنسان، كانت عملية المواخاة بين المسلمين عامة، والمهاجرين والأنصار خاصة وكانـت عمليـة الموادعة بين المسلمين وغيرهم من مكونات المجتمع الإسلامي الأخرى خاصة اليهود.

ثانياً: المواخاة بين المهاجرين والأنصار:

فضلا على أن هذا الحدث سجل لأروع النماذج على مدار التاريخ الإنساني في التضحية مـن أجـل المبادئ والمعتقدات (من طرف المهاجرين)، وفي الإيثار ونكران الذات (من جانت الأنصار)، فإنـه يشهد على عبقرية الرسول في مواجهة الحالات الصعبة والمواقف الحرجة، فقد كان من شأن الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة أن تنجم عنها اختلالات كبيرة على المستويات الاجتماعية والاقتـصادية بسبب التدفق المفاجئ للمهاجرين على المدينة، على نحو أدى الى ارتفاع محسوس لساكنتها في وقت وجيز لا يسمح بالاندماج التام للعناصر الجديدة في نسيجها العمراني والاجتماعي، امام هـذا الوضـع كيف تصرف الرسول ليتفادى أزمة حقيقية كانت توشك أن تقع في المدينة على مستوى السكن، وعلى مستوى التشغيل، وعلى مستوى الاندماج النفسي والاجتماعي للوافدين الجدد في محـيطهم الجديـد... كان لجوء الرسول بتتأييد وتوفيق من ربه إلى عملية الموآخاة هو الحـل المناسـب لتلـك اللحظـة التاريخية الدقيقة في حياة المسلمين، وقد استهدفت تلك العملية.

تقسيم العبئ الاجتماعي وتفتيته ليتخذ شكل حالات فردية عوض أن يكون ظاهره مجتمعية عامة، وهذا ما مكن من تجاوزه والتغلب عليه في ظرف وجيز بدل أن يصبح ظاهرة تستفحل مع الزمن . فالأنصار تحملوا إخوانهم بكل طواعية، بل تنافسوا على استضافتهم حتى اقترعوا فيما بينهم من أجل ذلك والمهاجرون من جهتهم لم يستغلوا هذا الكرم ولم يعيشوا عالة على إخوانهم، بل إنهم قبلوا هذه الوضعية فقط كمرحلة استثنائية وانتقالية، إذ سرعان ما استطاعوا الاستقلال بأنفسهم بعد أن وظفوا مهاراتهم في المجال التجاري وأصبحوا عناصر فاعلة في أسواق المدينة، وبذلك شكلوا قيمة مضافة في اقتصادها على اعتبار أن الأنصاركانوا أهل زرع وضرع والمهاجرين أهل شراء وبيع، وبذلك كمل بعضهم بعضا، حيث ملأ المهاجرون فراغا كان يستغله اليهود في أسواق المدينة كتجار ومرابين.

فضلا عن هذا الهدف الاجتماعي ذو البعد المادي كان لعملية المؤآخاة هدف معنوي تربوي يتمثل في تجسيد معاني التكافل والتضامن بين المسلمين وفي بداية تنزيل التورات الجديدة التي جاء بها الإسلام عن العلاقات الإنسانية وعن المال..

ثالثاً: التعايش السلمي مع مكونات المجتمع في المدينة المنورة (معاهدة المدينة والموادعة):

كان هاجس بناء ورص الجبهة الداخلية لدولة المدينة حاضرا بقوة في الاستراتيجية التنموية التي قادها الرسول منذ وصوله إلى المدينة، لذلك عمل على إقرار دستور متكامل في حينه ينظم العلاقات ويحدد حقوق وواجبات كل الحساسيات التي كانت تكون المجمع المدني، فبالإضافة إلى المسلمين الذين يتشكلون من الأنصار (الأوس والخزرج) والمهاجرين، كان هناك المشركون (الأوس والخزرج) واليهود، والأعراب الذين كانوا يعيشون على تخوم المدينة، وإذا كان الرسول قد اطمأن إلى الجبهة الإسلامية من خلال عملية المؤآخاة، فإنه لأجل احتواء أو ضبط العناصر الأخرى خاصة اليهود، ويأمن جانبهم، عمل على موادعتهم لتكون المدينة كلها، مسلمها وكافرها يدا في يد أمام الأعداء من الخارج،

ومجمل مانصت عليه هذه المعاهدة:

١- للجماعة الإسلامية شخصية دينية سياسية مستقلة بها
٢- الحرية الدينية مكفولة للجميع مالم يحصل من طرف ظلم أو إثم يتعاون سكان المدينة من مسلمين وغيرهم ماديا وعسكرياً وأدبيا، في الدفاع عن أي عدوان خارجي.
٣- رسول الله هو الرئيس الأعلى لسكان المدينة وإليه يرجعون في كل ما يختلفون فيه

٤- الأمة تضم الجماعة التي تعتقد عقيدة واحدة بصرف النظر عن اعتبارات القرابة أو الأرض أو النسب أو اللغة… فالمسلمون يؤلفون أمة واحدة واليهود يؤلفون أمة واحدة… وتألف هذه الأمة كلها المجتمع الإسلامي الذي يخضع لنظام الإسلام.

رابعاً: وضع التشريعات المنظمة للبيوع والمعاملات التجارية:

١-لا يصح بيعتين في بيعة كقولك بعتك هذا بألف نقداً أو بألفين مؤجلاً أو بعتك ثوبي بألف على أن تبيعني عبدك بخمسمائة، لخبر الترمذي عن أبي هريرة قال: [نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بيعتين في بيعة].

٢-لا يصح بيع وشرط، مثل بعتك بشرط أن تقرضني مائة، لخبر أهل السنن عن عبدالله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم تضمن، ولابيع ما ليس عندك].

٣-لا يصح بيع العربون، ويقال له: بيع العربان، سمي بذلك لأن فيه إعرابا لعقد البيع، أي إصلاحا وإزالةً لما قد يعتريه من فساد، ولئلا يملكه غيره باشترائه. ومضمون بيع العربان أن يشتري سلعة ويدفع درهماً على أنه إن رضي بالسلعة فالدرهم من الثمن وإلا فهو للبائع مجاناً، لخبر أهل السنن ومالك في الموطأ عن عبدالله بن عمرو قال: [نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بيع العربان].

٤-لو فرق بين الجارية وولدها قبل سن التمييز ببيع أو هبة بطل العقد، لخبر أحمد والترمذي عن أبي أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة]، فإن فرق بين الجارية وولدها بعد سن التمييز ببيع أو هبة صح العقد، لاستقلال الولد حينئذ، فلا يحتاج إلي أمه في الأصح.

٥-يحرم أن يبيع حاضر لباد بأن يقول الحاضر للبدوي الذي قدم بسلعة، وهي مما يحتاج إليها في البلد لا تبع الآن حتى أبيعها لك قليلاً قليلاً بثمن غال لخبر الصحيحين عن أبي هريرة وابن عباس [أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد. قال ابن عباس: لا يكون له سمسارا]. والسمسار هو الدلال، وهو في الأصل: القيم بالأمر والحافظ له، ثم استعمل في متولي البيع والشراء للغير ويأخذ على ذلك أجرة.

٦-**يحرم أن يتلقى الركبان** وهو من يأتي ببضاعة يبيعها في السوق فيخرج له بعض أهل السوق فيشترون منه البضاعة قبل أن يدخل بها السوق بسعر أقل . فهذا التلقي محرم ، والبيع صحيح ، ويثبت الخيار للبائع. ومثاله في واقعنا سوق حراج السيارات ؛ فبعض أصحاب المعارض يخرج من السوق ويتلقى البائع قبل أن يدخل السوق ويشتري منه السيارة، ونهي الشرع هنا هو لمصلحة البائع، لأنه ربما يغبن فيبيع بسعر أقل من السوق. دل على ذلك: خبر مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشتري منه، فإذا أتي سيده السوق فهو بالخيار].

٧-**يحرم أن يسوم على سوم أخيه** بأن يزيذ في السلعة بعد استقرار الثمن، لخبر الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يسم المسلم على سوم أخيه].

٨-**يحرم أن يبيع على بيع أخيه** بأن يقول للمشتري افسخ البيع وأنا أبيعك بأرخص منه، لخبر الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن النبي الله عليه وسلم قال: [لا يبيع بعضكم على بيع أخيه].

٩-**يحرم أن ينجش**، بأن يزيد في السلعة وهو غير راغب فيها ليغر بها غيره، لخبر الصحيحين عن ابن عمر قال: [نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش]. والنجش: هو في أصل اللغة الاستثارة، ومنه: نجشت الصيد إذا استثرته، واصطلاحا: ما ذكره المصنف، سمي بذلك لأنه يثير الرغبة في السلعة ويرفع ثمنها.

١٠-**يحرم أن يبيع العنب ممن يتخذه خمراً بأن يعلم منه ذلك أو يظنه**، فإن شك في ذلك أو توهمه كره له بيعه. ومثل العنب كل ما يمكن أن يصنع منه شراب مسكر، أو مادة مخدرة. وإنما حرم ذلك أو كره لأنه سبب لمعصية محققة أو مظنونة، أو مشكوك فيها أو متوهمة. دل عليه خبر أهل السنن عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها]، فكل من شارك في أسباب المعصية مشترك في الإثم.

١١-**يحرم بيع العينة**. وهو محرم؛ لخبر أبي داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً، لا

ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم]. وصورة بيع العينة: أن يشتري شيئاً نقداً بقيمة أقل مما كان قد سبق وباعه نسيئة. مثاله: أن يشتري خالد سيارة من محمد بألف جنيه مؤجلة بعد سنة أو بالأقساط الشهرية، ثم يعود محمد فيشتري ذات السيارة من خالد مرة أخرى بـ٩٠٠ جنيه حالة، فكأن خالداً اقترض من محمد ٩٠٠ جنيه على أن يردها بعد سنة ألف جنيه، وهو حرام؛ لأنها حيلة على الربا وذريعة إليه.

١٢-النهي عن تداول السلع إلا بعد نقلها واستلامها وقبضها: في الصحيحين عن ابْنَ عُمَرَ أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ]. وفي رواية: قال اِبْن عُمَر: [كُنَّا نَبْتَاعُ اَلطَّعَامَ، فَيَبْعَثُ إِلَيْنَا رَسُول اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَأْمُرُنَا بِانْتِقَالِهِ مِنْ اَلْمَكَانِ اَلَّذِي اِبْتَعْنَاهُ فِيهِ إِلَى مَكَانٍ سِوَاهُ قَبْلَ أَنْ نَبِيعَهُ]. وفي رواية: [أَنَّهُمْ كَانُوا يُضْرَبُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَرَوْا طَعَامًا جِزَافًا أَنْ يَبِيعُوهُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يُحَوِّلُوهُ].

الخلاصة:

من خلال ماسبق يتبين أن أسس المدينة النبوية قامت على أبعاد متعددة، وراعت كل الاعتبارات المتصلة بحياة الإنسان العامة والخاصة الكفيلة بتوفير الظروف المناسبة له ليمارس رسالته وينهض بالمسؤولية المنوطة به من قبل الله تعالى في عمارة الأرض ونمائها، والانطلاق في أرجائها لإشاعة قيم ومعاني الخير والحق والعدل والسلام، وليساهم في تشييد صرح الحضارة الإنسانية. وإذا كانت مجموعة من المدن والحواضر على امتداد العالم ترزح، في ظل العولمة المعاصرة تحت وطأة أزمات حادة تجد تجلياتها في تفاقم الفوارق الاجتماعية وفي استفحال معضلة البطالة والتهميش وفي أزمة تلوث البيئة وفي تدهور الجانب الأمني... فإن وضعيتها هذه ليست إلا ترجمة لفقدان المدينة لمجموعة من وظائفها (الاجتماعية.. التربوية..) مما أدى إلى اختلال التوازن بين عناصرها نجمت عنه هذه الأزمات القاتلة التي تعاني منها اليوم.

الخطبة الثانية

حملة (اشتري المصري) لدعم المنتجات المصرية

كلنا أولا وأخيرا مستهلكين مهما كانت مواقعنا ومهما كانت وظائفنا ومهما كانت حرفنا وصناعتنا وانا هنا أخاطب نفسي وأحاورها أجادلها وأناظرها إما تقنعني هي وأما أقنعها، فانا أنت وأنت انا. حملة دعم المنتج الوطني وإعطائه فرصه من المستفيد منها وعلى من سيعود خيرها ونفعها، هل يستفيد منها شخص او فئة أم مجتمع ووطن وشعب.

ان أول ثمار دعم المنتج الوطني هو محاربة البطالة وانخفاض أرقامها وانحسار اخطارها ولنعرف من المستفيد من محاربة البطالة نسال من المتضرر من استفحالها وتعمقها وتغول أرقامها. البطالة هل تدمر شخصا او فئة أم تدمر مجتمعا؟؟

كل منا مطلوب منه ان يجيب على هذا التساؤل المشروع، خطر البطالة هل يمكن ان ينجوا منه احد في المجتمع مهما كانت وظيفته او رتبته؟

البطالة تعني الفقر والجوع والحرمان

تعني التخلف والجهل تعني الفراغ والفساد والانحراف والجريمة والرذيلة

وكلها آفات إذا حلت فتكت بالمجتمع ولم يقتصر فتكها وبطشها على العاطل وحده.

كل الشباب الذين سقطوا في شباك الانحراف والعمالة والجريمة وباعوا الشرف والعرض والأرض والقضية كان الفقر عذرهم وكانت البطالة المدخل إليهم فمن شغله العمل الشريف وامن له مورد رزقه صعب إغواؤه وتعذر إغراؤه وتحصن ضميره وقويت عزيمته فهو مستور الحال يجد قوت العيال فلماذا يضعف او ينحرف.

فلو لم يكن لحمله دعم المنتج الوطني من اثر إلا محاربة البطالة وتوفير فرص العمل لنا ولأبنائنا لأصبح واجبا علينا ان ننضم إلى هذه ألحمله دون قيد او شرط وسؤال او استفهام.

ظروفنا صعبه وعدونا يهمه فساد مجتمعنا وإغلاق مصانعنا ليظهر للعالم إننا لا نستحق الاستقلال ولسنا جديرين بوطننا فبدونه نجوع ونعرى ونفترش الرصيف عاطلين عن العمل سهل علينا ان نبيع الغالي والنفيس لنأكل مجرد ان نأكل فهل نحن كذلك؟

منتجاتنا تتعرض إما لإغراق من الصين او من غيرها، وبيدنا نحن القرار وطوق النجاة ولا يجوز ان نتعلل ان المنتج الأجنبي أجود من منتجنا فكونه أجنبي كاف لان نكون مستعدين للتنازل عن بعض المزايا التي قد تكون وهمية في كثير من الحالات وسببها عقدة الأجنبي التي ما تزال بقاياها تنخر في بعض الأدمغة، ولنتذكر كلما امتدت أيدينا لتدفع ثمن المنتج الأجنبي اننا نساهم في بناء اقتصادهم وتشغيل عمالهم وزيادة ثرائهم وتقليل مشاكل البطالة في مجتمعهم ونمو استثماراتهم وتقوية أركان دولتهم وفي نفس الوقت ندمر اقتصادنا ونعطل عاملنا ونزيد فقرنا ونعمق مشكلة البطالة في مجتمعنا ونبدد استثماراتنا ونؤجل قيام دولتنا، فأين عقولنا وقلوبنا وضمائرنا.؟

لمصلحتنا العاجلة والاجله الا نعطي الأولوية إلا لمنتجنا، شعب أغلبه تحت خط الفقر مثلنا لماذا يجد على الرف خمسين نوعا من الشوكلاته والبسكويت والاجبان والألبان الأجنبية ألا يكون منطقيا لشعب مكافح مناضل يتوق للحرية والاستقلال ان يكتفي بما يصنع ويأكل مما يزرع ويستغني عن خيارات الرفاهية الزائفة ومتعه التسوق الكاذبة.

اما المنتج الصيني فانا اتحدي ان يقول احدنا انه اشترى سلعة صينية ولم يندم عليها او انه اشتراها لأنها الأفضل فهذا الميزان لصالح منتجنا لكن الطمع والجشع وغياب الرقيب جعل فئة المستوردين تغلق المصانع وتشرد العمال وتغرق الأسواق وانأ وأنت كمستهلكين الضحية الأولى لان أموالنا تستنزف في بضاعة هي نفايات أولا وأخيرا قصيرة العمر رديئة الصنع حمالة للمرض جلابة للخراب تماما كالسيجارة.

من هذا المنطلق أجد ان دعم المنتج الوطني هو واجب لا تفضل فيه وحق لنا على أنفسنا وفرض عين علينا جميعا لأنه منا والينا وكلنا محتاجون إليه والى تطوره ونموه وازدهاره لينموا اقتصادنا ويزدهر مجتمعنا ويشتعل عاملنا وتختفي صفوف بطالتنا.

= تطوير المنتج المصري واجب:

اهمس أخيرا لأصحاب الصناعة في مصر ان علينا فرضا واوجبا ان نطور ونحسن ونرتقي بمنتجنا ونخفض أسعارنا ونقطع الطريق ونسد الذرائع على المشككين بجودة ومتانة منتجنا فقد تكون أنت منتجاً فان أدرت وجهك أصبحت مستهلكاً لسعة أخرى، فكلنا في مركب واحد نحتاج بعضنا نطعم بعضنا ونكسو بعضنا نشغل بعضنا فنحن خليط في وطن واحد كل المواقع مواقعنا وكل المنازل ننزلها فانا منتج ومستهلك وعامل وأنت منتج ومستهلك وعامل وكذلك ابني وكذلك أبناؤك فهل يتفضل

بعضنا على بعضنا وهل تمن يد على أختها او رئة على جارتها ام اذا اشتكى عضو تـداعينا جميعـا سهرا وحمى؟؟

أنها السفينة ان غرقت غرقنا وان نجت نجونا وكلنا بيده الدفة.

= تعليقات المواطنين:

– هشترى عشان التخفيضات لأن أصحاب المنتج المصرى فى الأيام العاديـة وبـدون أزمـات ولا بيعبرونا بتخفيضات حقيقية، مش بس كده .. دول بيقدموا لنا أسوأ جودة وأسوأ رقابة على المنتجات

– المشاركة في هذه المليونية ولو كانت بنقود بسيطة فهي واجب وطني، مشيراً إلى أن هناك منتجات ومصانع جيدة جداً من حقهم أن يأخذوا فرصتهم في الانتشار، فلهذه المليونية فرصـة عظيمـة فـي تحسين الاقتصاد وتشجيع المنتج المصري، الذي غالباً ينعكس على جميع الأسر المـصرية بزيـادة الإنتاج واسترجاع العمالة الموقوفة منذ بداية الثورة نظراً لتدني حركة البيع

– هذه الحملة قد تكون تمويه سياسي، فالمشاركة في الحملة هي من أجل دعم كبار رجال الأعمـال، فبعدما فشلت أجهزة الأمن بشتى الطرق في إخماد الثورة وجدوا أن الإعلام هو خير بـديل، فتـارة تحشد إحدى الفضائيات البسطاء فكرياً إلى العباسية من أجل مناصرة المجلس العسكري، والآن يطل علينا واحد من الفلول بمليوينة اقتصادية جديدة هدفها إلهاء الشعب وسحب التجمعـات مـن ميـدان التحرير إلى تخفيضات السوبر ماركت.

– لازم نشجع المنتجات المصرية ؛بس لازم كمان المنتجات دي تشجع المصريين وغير المـصريين للإقبال عليها" فكيف نشجع المنتج المصري وهو بأسوأ الخامات وأسوأ الخدمات وأغلى الأسـعار ؟!! .. عليهم أن يوفروا لنا منتجات آدمية تليق بنا قبل أن يطلبوا منا الدعم .

= مقترحات وحلول:

• اركن سيارتك واركب تاكسي لزيادة دخل السائق المصري البسيط
• اشتر الخضار والفاكهة من السوق أو عربة في الشارع لتصل بربح ما اشتريته إلى أفقر طبقة فـي المجتمع

• اشتر مناديل ورقية من طفل في إشارة المرور لتصل بربح ما اشتريته إلى أفقر طبقة في المجتمع
• ساعد المحتاج والعامل ولا تعطي متسولاً صدقة في يده
• ركز لتكون مشاركتك في مليونية إنعاش اقتصاد الغلابة طالما ترى أن مليونية المنتج المصري تخدم رجال الأعمال في المقام الأول.

= **نكتة على الطريقة المصرية**

ذهب أحد الشبان ليتقدم إلى فتاه وقال لوالدها : يا عمى انا معنديش شقه فرد الاب : مفيش مشكله فقال : ولسه مشتغلتش ... فرد الأب : مفيش مشكله فقال: مش هجيب غير دبله فرد الأب مفيش مشكلة .. فقال الشاب : غريبة يا عمي أنا كده بدأت اشك فى بنتكم فرد الاب : يابنى النهارده الجمعه ٢٠١١/١٢/١٦ .. احنا بنشترى مصرى ..
هذه النكتة انتشرت على صفحات الشباب على موقع التواصل الاجتماعي " فيس بوك" احتفالا بمليونية المنتج المصري، معربيين عن أمانيهم في تخفيض تكاليف الزواج وتفهم الآباء في نفس الوقت.

= **دعم السياحة المصرية:** في الصحيحين عن ابْنَ عُمَرَ [أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ. ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ، حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ].

= **ختاماً:**

- لقد قالها ذات يوما الشيخ متولى شعروای رحمه الله فجرت مثلا لا تكون الكلمة من الراس حتى تكون اللقمة من الفأس
- بعد الحرب العالمية الثانية عندما هزمت المانيا ودمرت مدنها ومصانعها بالكامل نهض الشعب الالمانى بعد نها ر العمل، كانوا يعملون ساعات اضافية بالمجان لرفع الانقاض من البيوت المدمرة وبناءها من جديد وكذلك فعل الشباب اليابانى
- هل قدمتم لمصر بعض وقتكم فى مبادرات مبدعة للنهوض بالبلاد من ازمتها؟
- هل تذكرون حملة القرش التى دعا اليها المناضل الوطنى الكبير احمد حسين قبل ثورة يوليو ٥٢ دعا فيه المواطنين المصريين الى التبرع بقرش واحد لبناء مصنع الطرابيش وفعلا تحقق المشروع
- وتذكروا طلعت حرب ومشاريعه الرائدة لتطوير

- ولهم فى إيران عبرة ؟ وكيف قاومت وتخلصت من سيف الحصار والعقوبات سنين طويلة بالمنتجات المحلية لكل المواد الإستهلاكية والغذائية خاصة بل والتصدير لدول الخليج.. وأصبح قرارها السياسى بيدها وتفرض شروطها
- وكذلك الهند كان الشعب الهندى زعيمهم المهاتاما غندى كانوا لا يلبسون الا الملابس القطنية المصنوعة فى الهند وقاطعوا البضائع الانجليزبة فحصلوا على الاستقلال وهى اليوم من الدولة المتقدمة

انتهى، ولله الحمد والمنة